الصحفى الكبير
وجيه أبو ذكرى

عشــقت هذا الرجل الذى بســببه
أضربت يوماً عن العمل لأنه شيوعى

صداقة حميمة

obeikandl.com

صاح رئيس قسم الشئون العربية بمجلة آخر ساعة فى حدة وانفعال.. وأعلن على الملأ قائلا.. لن أعمل مع رئيس التحرير هذا.. لن أتعامل مع هذا الرجل الشيوعى.. سوف أضرب عن العمل الصحفى ولن أكتب حرفًا واحدًا بعد الآن.

كان هذا فى عام ١٩٦٦م الذى شهد بعض التغييرات فى القيادات الصحفية بين رؤساء التحرير.. وجاء الكاتب الكبير الراحل صلاح حافظ رئيسًا فى ذلك الحين لتحرير مجلة آخر ساعة وانتشرت شائعة قوية سبقت خطواته داخل المجلة تؤكد شيوعيته..

كان وجيه أبو ذكرى رئيس قسم الشئون العربية بمجلة آخر ساعة لا يطيق الشيوعيين ويكرههم كرهًا شديدًا.. ووقف متحفزًا متأهبًا للهجوم على رئيس التحرير الجديد وصديقه فيليب جلاب الذى جاء يصطحبه معه إلى المجلة وكان صديقه الحميم.

وحدثت المواجهة فى إحدى الجلسات وكان يحضرها كل من الصحفى وجيه أبو ذكرى رئيس قسم الشئون العربية وفيليب جلاب رئيس قسم الخارجى.

ودارت المناقشة بين جموع الحاضرين وإذا بالصحفى فيليب جلاب يدلى برأيه حول صحافة أخبار اليوم ويصفها بأنها صحافة الإثارة والجنس.

أثار ذلك حفيظة وجيه أبو ذكرى فقد بدأ حياته الصحفية بدار أخبار اليوم فاشتعل الفتيل داخل نفسه وقرر إثارة القلاقل لفيليب وصديقه رئيس التحرير..

وقـرر وجيـه أبو ذكرى الإضراب عن العمـل. فتوقف عن كتابة أى تحقيقات أو موضوعات، ولم يبخل عليه الكاتب الكبير محسـن محمد والذى كان يعمل نائبا لرئيس تحرير الأخبار فى ذلك الوقت بالنصيحة عندمـا توجه إليه لاستشـارته فى موقفه وما هو مقـدم عليه. طلب منه محسـن محمد إلغاء فكرة التوقف عن الكتابة وحثه على مزيد من العمل المتقـن وكتابة أحلى ما عنـده. حتى يكون ذلك مبررًا للهجوم إذا امتنع رئيس التحرير عن نشر تحقيقاته فإن ذلك يصبح سببا مقبولا لشن حملة ضدهما يتقبلها الآخرون.. وليس بسبب أنهما شيوعيان، وحتى يستطيع كسب الجولة.. اقتنع وجيه برأى صديقه ووافق على فكرته..

وتصـادف أن قامت وكالات الأنباء العالمية بحملة شـعواء ضد مصر فى ذلك الوقت بنشـر إيمـاءات بأن اليهود يضطهـدون بها وأن هناك ممارسات قمعية ضد الآلاف الخمسة من اليهود الذين يعيشون بأرضها.

ورأى وجيـه أبو ذكرى أن مقابلة الحاخام اليهودى بمصر هى الحل الأمثـل والوحيد للقضاء على الحملة المدبرة ضد مصر ووضع النقاط على الحروف.. اصطحب المصور محمد رشوان.. وأكد الحاخام فى حواره أن اليهود فى أمان بمصر ولا توجد أى ممارسـات اضطهادية ضدهم ولكن هناك إجـراءات أمن فقط بعد هجرة ١١٥ ألف يهودى من مصر.. وقال إن من يعيشون بمصر من اليهود هم عاشقون لأرضها..

كتب وجيه التحقيق بأسـلوب شيق وهو يعلم علم اليقين أن التحقيق لن ينشـر.. وكانت المفاجأة!!.. صدرت مجلة آخر سـاعة يوم الأربعاء كالعادة ونشر بها تحقيق الحاخام اليهودى على أربع صفحات مرفق به

الصور لوجيه أبو ذكرى مع الحاخام.. ذهل وجيه.. أصابته الدهشة!! لم يصدق نفسه عندما وجد أن رئيس التحرير صلاح حافظ قد وضع عناوين جديدة بنفسه للموضوع لم يقرأ أحلى منها فى حياته.. وكانت المقدمة من أروع ما يكون..

تقابلا.. كان اللقاء بينهما بداية لشىء جديد.. ذهب وجيه إلى رئيس التحرير يشكره على الرغم من موقفه منه.. فأجابه الصحفى الكبير صلاح حافظ قائلا إن نجاح أى موضوع هو نجاح للمجلة ولرئيس تحريرها لقد فعلت هذا لمصلحة المجلة.. وليس من أجلك.

يقول الكاتب الكبير وجيه أبو ذكرى فى وصف صلاح حافظ لقد عشقت هذا الرجل شديد البساطة لدرجة أعتقادك بأنك ابن له أو أنه صديقك الحميم.. لقد أحببت الشيوعية من خلاله.. لقد كان مفكرًا متحضرًا..

ويصف تلك الفترة التى عملا فيها معًا قائلاً.. كان لصلاح حافظ نظرية ذات مفهوم جديد فى العمل لم آلفه مع من عملت معهم مسبقًا..

كان يرى أن الإغداق على الصحفى بالمال ضرورة حتى لا ينحرف.. كان يجد أن الموضوع الجيد يفرض نفسه مهما كانت علاقة صاحبه برئيس التحرير.. وكان رافضًا لمبدأ الشللية فى العمل..

ويتذكر وجيه أبو ذكرى واقعة لم تسقط ولم ينسها أبدًا.. فيقول..فى أحد الأيام وأنا أجلس بمكتبى بالمجلة وجدت صلاح حافظ أمامى واقفًا بشحمه ولحمه يسألنى بحنان أبوى.. أنت فين يا وجيه؟ فين شغلك؟ ماذا بك؟

فأجبته.. أنا مفلس.. وعندما لا يكون معى نقود أفقد حماسى لكل شىء حتى العمل ولا أستطيع التركيز.. وفى اليوم التالى ذهبت إلى عملى وجلست بمكتبى وإذا بى أجد ورقة وعليها توقيع رئيس التحرير مرسلة إلى الإدارة بصرف مكافأة لى قدرها خمسون جنيها..

كان لصلاح حافظ مقدرة على إخراج أفضل ما فى الصحفى من إبداع وموهبة وتبنى المواهب لدرجة إعادة كتابة موضوع لصحفى حديث العهد بيديه بكل بساطة وتواضع.. وكان يؤمن بالرأى الآخر.. من السهل أن ينشر مقالة لشخص يتعرض له هو شخصيًا بلا أدنى تردد..

ولم يتوقف نهر الذكريات فى تدفقه فى ذهن وعقل الكاتب الصحفى وجيه أبو ذكرى.. فقد تلاطمت أمواجه وقفزت به فى البداية سنة ١٩٦١م عندما كان يعمل مندوبا لجريدة الأخبار بوزارة التموين.. ويأمل أن يصبح محررا للشئون العربية.. فالمقال كان قضيته التى تستهويه أكثر من جلب المعلومات والخبر...فكر ماذا يفعل؟.. لجأ وجيه إلى الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الذى كان رئيسًا لقسم الشئون العربية بمجلة آخر ساعة حينذاك.. دار حوار بين أحمد بهاء الدين والصحفى المبتدئ واكتشف الأستاذ مدى استيعابه لكل التيارات السياسية المحيطة به.. تبنى أحمد بهاء الدين الصحفى الطموح.. ساعده على شق طريقه فى قسم الشئون العربية.. كان يمده بالكتب التى يحب قراءتها ويناقشها معه بعد ذلك.. كان يقدمه بنفسه إلى كل القيادات السياسية ويعرفهم به حتى أصبح معروفًا لديهم.. وتمكن وجيه أبو ذكرى من تحقيق عدد من الانتصارات فى عمل موضوعات عربية كان لها أبلغ الأثر.

واقترح الصحفى وجيه أبو ذكرى على رئيس تحرير مجلة آخر ساعة فـى ذلك الوقت فقام بعمل تحقيق عن كيفية إقامة جيش للفلسـطينيين عـام ١٩٦١م.. فرفـض.. وطلب من وجيه عمل تحقيقات سـريعة عن أسباب الازدحام المرورى فى القاهرة..

وانتهى وجيه أبو ذكرى من تحقيقه إلى ذكر أسـباب الازدحام وأكد ضـرورة اختفاء العربات الكارو من الشـوارع الرئيسـية بالقاهرة وكذلك الشاحنات الكبيرة.. ولم تنشر الموضوعات.. ولكن مع مرور الوقت تحول وجيه أبو ذكرى إلى محرر ناجح فى قسم الشئون العربية.. فطعنه رئيس التحرير طعنة مباغتة ونشـر موضوع العربات الكارو وكأنما أراد أن يقول إن وجيه أبو ذكرى صحفى العربات الكارو...

ظل هذا الحدث جرحًا لا يندمل وسرًا بداخل النفس لا يتحدث عنه أبدًا.. لكنه لم ينسه.

وتمـر الأيام وتتوالى الأحداث.. ويصبح وجيه أبو ذكرى قلما مميزا من الكتاب السياسـيين يشار إليهم بالبنان وتصبح حملاته الصحفية علامات على طريق الوقوف فى وجه الفسـاد والمحسوبية والظلم ولم ينجح رئيس التحرير فى النيل من نجاحاته وتميزه.

وتلفت إحدى هذه اليوميات نظر الأديب الكبير يوسف إدريس بأسلوبه الشـيق الممتع.. فيفاجأ الصحفى الكبير وجيه أبو ذكرى بجرس التليفون وعلى الطرف الآخر الأديب الكبير..

قال له.. لقد قرأت يومياتك اليوم.. إنها رائعة.. أنت قصاص موهوب.. عليك من الآن بكتابة القصة.. وسيكون لك شأن فى هذا المجال..

وكتب وجيـــه أول قصة قصيرة تحت عنوان «عامل التحويلة» ولكنه لم ينشرها.. فقرر عمل مجموعة من القصص القصيرة ونشرها بكتاب..

وكان كتاب «شـــاليه الســـلطة» الذى تضمن عشـــر قصص قصيرة وتم اختيار أربع قصص لعمل فيلم سينمائى.. وتحققت نبوءة الأديب الكبير الراحل يوسف إدريس التى كانت نقطة تحول فى حياة الصحفى الكبير.

□□□

obeikandl.com